دلالات اللون الأبيض غير المباشر في الشعر الأندلسي

الغزل أنموذجاً

الدكتورة: عبير فايز حماده الكوسا

كلية الآداب – جامعة البعث

ملخص البحث

اللون مظهر يشيع في كل النشاطات الإنسانية، ويعبر عما تشعر به الذات الإنسانية من مشاعر وأحاسيس، فألوان المدركات الحسية تعدُّ مثيرات حسية لدى الناس ويختلف تأثيرها فيما بينهم، فهذه المدركات الحسية تدخل إلى مكنون الإنسان، وتحدث تطابقاً لا شعورياً بين اللون الحسي الظاهر للعيان وبين قيم الجمال التي يستأثر بها لنفسه، وينطلق من خلالها في تقييم الجمال ونقده، وعندما يحدث مثل هذا التطابق والتمازج المعرفيين تنجذب نفسه إلى ما يراه من لون ويتقرّب منه، ثم يصبح هذا اللون ذائقة معنوية عنده، ولذلك كانت الدلالة غير المباشرة للون الأبيض في الشعر الأندلسي حاضرة في المكنون الشعوري للشاعر الأندلسي ولا سيما في تغزله بالحبيبة أو الحبيب، فقد كان الشاعر الأندلسي من خلال تعابيره الشعرية الشاعرية رسّاماً يرسم بكلماته ويلوّنها ويحاول أن ينقل هذه الحال الشعورية بالكلمات إلى المتلقي ، كي يرسم في ذهنه أبعاد الصورة الفنية التي يريد التعبير عنها من خلال مفردات لونية غير مباشرة للون الأبيض. الكلمة المفتاحية: دلالته– اللون– الأبيض– غير المباشرة –الغزل.

مشكلة البحث وهدفه:

من يطّلع على الأبحاث التي تناولت اللون ودلالته في الشعر الأندلسي يجد قلة الدراسات اللونية التي تناولت الشعر الأندلسي، مع أنَّ الأصباغ والألوان تتلامع في كل قصيدة ولدى كل شاعر أندلسي، ومع الإقرار بأن الاهتمام بجماليات الألوان بدأ حديثاً لدى علماء الجمال والباحثين والنقاد عموماً؛ لذلك يأتي اختيار هذا البحث إسهاماً متواضعاً في مجمل هذه الدراسات لما تحمل جمالية اللون الأبيض بدلالته غير المباشرة في الشعر الأندلسي – الغزل أنموذجاً – من تعابير نفسية وفنية وسلوكية أيضاً.

منهج البحث:

عمد البحث إلى اختيار المنهج الجمالي الفني الوصفي الذي يفيد في اختيار الصور ودلالتها الرمزية والمعنوية، وقد استعان بالمنهج النفسي في دراسة دلالة اللون الأبيض غير المباشرة وتأثيرها في المتلقي، وكيفية مجيئها إلى ساحة شعور الشاعر، وكيفية صوغها في تركيب شعوري لإظهار النوازع النفسية التي تستحضر عنصر اللون، وذلك لتزيين الصورة الفنية من ناحية، والتعبير عن العوامل النفسية في حالات الفرح والحزن في مجال غزله الشعري.

The indirect connotations of the White Colour in Andalusian Poetry

Abstract

The colour is an aspect that prevails in all human activities and conveys the human-self's feelings and sensations. The colours of sensual perceptive are regarded as sensual urges for people and the impact they have differs from one person to another. The sensual perceptive goes deep into the human's interiority and causes an unconscious conformity between the noble sensual colour and the aesthetic values which the poet appropriates and from which he sets out to assess and criticize beauty. When this epistemological conformity or concord takes place, every colour becomes appealing to him, and this colour turns into an abstract value. Hence, the indirect connotations for the white colour in Andalusian poetry prevailed in the conscious interiority of the Andalusian poet. The Andalusian poet was an artist in his use of poetic diction which he coloured in order to convey this emotional situation to the recipient who will in turn visualize the dimensions of what he seeks to present through indirect colour words relevant to the while colour.

...المقـــدمة...

• **الغزل:**

وظف اللون الأبيض تلميحياً في سياق الغزل في مفردات متعددة, أولها البحر والقمر والهلال, وهي مفردات لونية توحي بالجمال والبهجة والإشراق, فهي تعني كل جميل, – فـ "**الجميل هو ذلك الكائن الذي نرى فيه الحياة, وذلك الشيء الذي يعبر عن الحياة – أو يذكّرنا بالحياة– بما يكتنزهُ من أحاسيس حيّة بالإشراق والحب والجمال والفرح**". [1]

دلالات اللون الأبيض غير المباشر في الشعر الأندلسي:

1– البدر:

عبّر الشعراء عن جمال المحبوب وإشراقه من خلال وصفه البدر, وباكتمال ضيائه يكون في غاية الجمال والإشراق. يقول ابن عبد ربه في جمال الحبيب[2]:

رأيتُ بها بدراً على الأرضِ ماشياً ولم أرَ بدراً قطُّ يمشي على الأرض

فحبيبة الشاعر بدر يمشي على الأرض, والشاعر ينفي أن يكون قد رأى من قبل ذلك بدراً يمشي.

ويرى الشاعر ابن دراج القسطلي ضياءَ الشّمس والبدر والنجوم, فيقول[3]:

كفاني التماح الشّمسِ والبدر وجهَهُ وما اقتبست منه النّجومُ العواتمُ

فيكفي الشاعر أن يلتمح ضياء الشمس والبدر في وجه الحبيب, وكذلك اقتباس النجوم لضيائها من الشّمس والبدر.

ويتغزل الشاعر ابن شرف القيرواني بصورة وجه الحبيب حيث يقول[4]:

بين أجفانكَ سحَرٌ وعلى غُصَنِك بدرٌ

---

[1] الجمال والجلال، فؤاد مرعي, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بيروت 1991, ص 71.

[2] ديوان ابن عبد ربه ، حققه وشرحه محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة، ص 126.

[3] ديوان ابن دراج القسطلي ، حققه وعلق عليه محمود علي مكي ،. المكتب الإسلامي، ط2 ، ص 131.

[4] ديوان ابن شرف القيرواني ، تحقيق د. حسن ذكرى حسن ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ص 56.

لقد جعل الجفنين منبع السّحر الذي سحر لبّهُ ، وقيّدهُ في قيود الجمال, ورأى أنَّ خصرهُ النحيل الميّاس غصن نقا, يطلع عليه بدر الوجه الذي يضيء ليل الشاعر.

ويخاطب الشاعر ابن زيدون الحبيب بأنّه بدر, تتأملّه عين الشاعر, وقد حملَ قلبهُ تباريح الشّوق والهوى ذلك[5]:

أيُّها البدرُ الذي يَملأُ عينيَ من تأملْ

حُمِّلَ القلبُ تباريحَ التجنيّ فتحمّلْ

فالحبيب عند ابن زيدون بدرٌ حسنٌ إذا تأمّلهُ النّاظر ملأ عينيه حُسناً وجمالاً, وقد تحمّل فؤادهُ قسوة التّجني، ومرارة الظلم اللذيذ لأنه يهوى عذاب الحبيب.

يخاطب المعتمد بن عباد الحبيب, واصفاً إياهُ بأنّهُ بديع في حسنه وإحسانه, فهو البدر المنير للدياجي السّود[6]:

يا بديعَ الحُسنِ و الإحـ ـسانِ يا بدرَ الدَّياجي

و رسم ابن خفاجة صورة جديدة لضياء الحبيب, فيقول[7]:

ولرُبَّ ليلٍ قد صَدَعْتُ ظلامَهُ بجبينِ بَدْرك

فالشاعر صدع ظلام الليل ، وبدَّد حلكته بضياء جبين الحبيب, الذي يشبه البدر المنير.

ويعدد الشاعر الحكيم صفات الحبيب الذي تغزل به، فهو[8]:

البدرُ في أزرارهِ والغصنُ في زنّاره والحقف ملء إزارهِ

---

[5] ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبدالعظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، مصر، ص 182.

[6] ديوان المعتمد بن عبّاد، جمعه وحققه د. حامد عبدالمجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، راجعه د. طه حسين ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط2 ، 1997م، ص 5.

[7] ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. سيد غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،ط2، 1979م ص 122.

[8] ديوان الحكيم ، أبي الصلت أمية بن عبدالعزيز الداني : جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ص97.

إنَّها صورة غارقة في علم البديع, فضياء البدر وتمامه يطلع من أزرار جيب الحبيب, وقدّهُ اللين الناعم كالغصن في اهتزازه, وقد أطبق عليه زناره, وحقفه وكفله المتجمّعان يملآن إزاره, فيغدو تمام الحسن والروعة والجمال.

وقد لا يختلف الشاعر ابن الحداد الأندلسي عن الحكيم بصفات الحبيب الذي تغزل به[9]:

هو البدر والغصن خَدَّاً و قَدَّاً كما أنّه الظبيُ لحْظاً وجِيدا

فالحبيب بدرٌ في ضيائه, وغصنٌ في قدّه, وظبي في لحظه وجيده.

ويرى الشاعر ابن الزقاق البلنسي في إشراق الحبيب إشراقُ البدر في ظلام الدُّجى, وقد قرن شعوره وحنينهُ بطلوع ذلك البدر المنير, الذي تحنُّ إليه القلوب المتلهفة له والأجفان[10]:

تطلع مثلَ البدر في غَسقِ الدُّجى فحنّت قلوب حائماتٌ وأجفانُ

ويضفي الشاعر الرصافي البلنسي على الحبيب كثيراً من الصفات التي هامت بها نفسه, فيراها بأنَّه[11]:

غضنُ بانٍ وزهرُ روضٍ وجمالٍ ريمُ إنسٍ وبدرُ أفْقٍ سعودِ

فالحبيب غصن بان في تمايله, وزهر روضٍ في جماله وإشراقه, وريمُ أنسٍ في جمال عيونه, والبدر في ضيائه وإشراقه.

و يشتكي الشاعر ابن سهل من جمال حبيبه, فيقول فيه[12]:

ضللتُ بالبدر على نوره والناسُ يستهدونَ بالبدرِ

فقد ضلت نفس الشاعر عندما هامت بالحبيب, الذي يشبه البدر المنير, مع أنَّ النّاس يهتدون إلى الصّواب بضياء البدر وإشراقه, إلاّ أنّ الشاعر يقرُّ بأنَّ الضلال في الحُسن هو عين الهدى,

---

[9] ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه وقدم له د. يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص195.

[10] ديوان ابن الزقاق البلنسي ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ، لبنان ، 1409هـ، 1983م، ص272.

[11] ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له د. إحسان عباس ، دار الشروق، بيروت ، القاهرة ، ط2، 1403هـ، 1989م، ص 67.

[12] ديوان ابن سهل ، قدم له د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1400هـ،1980م، ص 150.

لأنّه لم يجد أجمل من محبوبه حُسناً وجمالاً. و يعبّر الشاعر ابن خاتمة الأنصاري عن شدّة افتتانه بضياء أحبّته, فيقول فيهم[13]:

ليس شيء أبهى وأبهرَ مرأى مِنْ بدورٍ تُديرها أعناق

فما من شيء أجمل وأبهج من رؤية بدورٍ مضيئة تحركها أعناق. ويتغزّل الشاعر بالحبيب الذي يشبّهه بالبدر, إلاّ أنّ طلوع هذا البدر هو في سواد بصره, وهو ظبي, ولكن مرعاه في صميم قلب الشاعر[14]:

بدرٌ ولكن سواد العيْن مَطْلعُه ظبيٌ ولكن سُويدا القلبِ مرعاهُ

و يقصُّ الشاعر لسان الدين قصَّة عن ظفره بالحبيب البدر, ونجوم السماء غافلة عنهما, فيقول[15]:

رُبَّ ليلٍ ظفْرتُ بالبدرِ ونجوم السماءِ لمَ تْدرِ

حفظ اللهُ ليلنا ورَعى

أيَّ شملٍ من الهوى جمعا

غفل الدّهرُ والرقيبُ مَعا

ويتغزل الشّاعر ابن فركون بالأحبّة, فيرى فيهم البدور المضيئة, إلاّ أنَّ أفقها الذي تشرق فيه هي الهوادج, فنورها يجلو الظّلمة والظلام الحندس[16]:

كم بدور لها الهوادجُ أفقٌ نورها قد جلا الدُّجى إذ تجلّتْ

---

[13] ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية ، منشورات دار الحكمة ، 1399هـ، 1978م ، ص 88.

[14] المصدر السابق، ص 58.

[15] ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني ، صنعه وحققه وقدم له د. محمد مفتاح ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 1409هـ، 1989م ، 783/2.

[16] ديوان ابن فركون ، تقديم وتعليق محمد ابن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية وسلسلة التراث، ص 165.

ويرى الشّاعر أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي أنّ الحبيب بدرٌ قريب وبعيدٌ من نفس الشاعر:

فهو بدرٌ يُرى قريباً بعيداً ويح قلبي من القريبِ البعيدِ[17]

فالحبيب بدرٌ طالع في سماء نفس الشاعر, وهو قريب منه حبّاً وهياماً, وهو بعيد عنه وصالاً وغراماً, ولذلك فإنّه يعطف على قلبه المدنف من هذا الحبيب المجنف.

ويصف الشاعر الحبيبة التي تختال بين الظلام والضياء، وهو يرى سواد شعرها بظلام الدجى وجبينها المشرق بالضياء، فتخيلها الشاعر كأنها بدر منير فوق غصن مورّق[18]:

تختالُ ما بينَ الدّجنة والضّيا من شعرها وجبينها المتألقِ

فتريك مهما رمْتَ تشهدُ ذاتها بدراً منيراً فوقَ غصنٍ مورقِ

يكمن جمال البيتين في الطباق البديعي الذي يتجلّى بهما, فالحبيبة تختال ما بين سواد شعرها المنسدل, وضياء فجر جبينها, الذي يسطعُ نوراً, حيث تري النَّاظر إليها – مهما أمعن النظر– وجهاً كأنّه البدر المنير, يطلع على خصرٍ كأنّهُ الغصن المورق جمالاً وفتنةً.

ويبوح الشاعر عبد الكريم القيسي بشكواه, عندما تعلّق بفتاة مسيحيّة[19]:

وأعجَبُ عُبَّادِ الصَّليبِ صَبيَّة سَبتْني بوجهٍ مثلَ بدرٍ مُتَممِ

فبتُّ حليفَ الهمِّ من فرطِ حبِّها وباتت بهجري في فراشِ تنعُّمِ

فقلب الشاعر قد سبته تلك الفتاة, التي شبهها ببدر تمَّ, لذلك عانى الشاعر مرارة الهمّ من شدّة هيامه بها, بينما الحبيبة كانت تنعم بهجرها له.

و يقرن الشاعر وجه الحبيب عندما نبتت لحيته بجمال الرياض المزدانة بالأوراق الخضراء النّضرة, أو بالبدر المضيء المكتمل ضياءً وإشراقاً في غسقِ الدّجى[20]:

لوجه الحبيبِ إذا ما التحى جمالُ الرياض اكتسى بالورَقْ

---

[17] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي ، السليمية ، بيروت، 1873م ، ص55.

[18] المصدر السابق ، ص 133.

[19] ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، تحقيق د. جمعة شيخة ، د. محمد الهادي الطرابلسي ، مؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة، قرطاج ،1988م ، ص36.

[20] المصدر السّابق، ص 446.

أو البدرُ بعد ثلاثِ وعشرٍ من الشّهر يبدو بجُنْحِ الغَسَقْ

2- القمر:

القمر مفردة لونية تشعّ بإشعاعات اللون الأبيض, وقد وُظّف في سياق الغزل للتعبير عن جمال المحبوبة وإشراقها كقول الشاعر ابن عبد ربه في الحبيب[21]:

من محبٍّ شَقّهُ سَقَمُهْ وتلاشى لحمهُ ودَمُهُ

كاتبٌ حنَّتْ صحيفتُهُ وبكى من رحمةٍ قلمُه

يرفع الشكوى إلى قمرٍ يتجلّى عن وجههِ ظُلمُهْ

فالشّاعر محبّ, أنحلَهُ المرض, واختفى لحمه ودمهُ, حتّى أنّ كتبهُ قد حنّت عليه, وبكى قلمهُ رحمةً عليه, فهو يرفع شكواه من الحبّ إلى حبيبه القمر المضيء, الذي تنكشف الظلماء بضياء وجهه.

ويصف الشّاعر ابن شهيد الأندلسي الحبيب عندما مرَّ به, فيقول[22]:

مرَّ بي في فلَكٍ من رَبْربٍ قمرٌ مُبْتسمٌ عن شَنبِ

زيَنوا أعلاه بالدُّرّ كما ثقَّلوا أسْفَلهُ بالكُثُبِ

فالحبيب مرَّ بالشّاعر, وهو في فلكٍ من الغزلان, فكان كالقمر حُسناً وضياءً, يبتسم عن أسنانه البيضاء الناصعة, وقد زينوا أعلاهُ بالدُّرّ واللؤلؤ إمعاناً ببياضه, أمّا أسفله فهو يهتزُّ ليناً ولطفاً كأنه الكثيب الجميل.

ويتغزل الشاعر ابن شرف القيرواني بفتى يدعى عمرو, فيقول[23]:

يا أعدل الناس اسماً كمْ تجور على فؤادِ مضناك بالهجران والبينِ

أظنُّهم سرقوكَ القاف من قمرٍ فأبدلوها بعينٍ خِيفةَ العَيْنِ

---

[21] ديوان ابن عبد ربه، ص 153.

[22] ديوان ابن شهيد الأندلسي، حققه وقدمه د. يعقوب زكي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 1969م، ص90.

[23] ديوان اين شرف القيرواني، ص 100.

فحبيب الشاعر أعدل الناس اسماً, ولكنه في حقيقته ظالم لفؤاد الشاعر بالهجران والصدّ والبعد. ويظن الشّاعر أنَّ محبوبه قمر, ولكنّ الآخرين سرقوا حرف القاف من اسمه، وأبدلوها عيناً خشية الحسد.

وينادي الشاعر ابن زيدون المحبوبة بأنها قمر, مطلعه المغرب, وقد ضاقت في حبّهِ كلَّ السُّبُل[24]:

يا قمراً مَطلعهُ المَغْربُ قد ضاق بي في حُبّكَ المذهبُ

وأمّا الحبيب عند الشاعر ابن عمار الأندلسي, فهو قمرٌ يسقي المدام فيضيء في المجلس[25]:

وهويته يسقي المدامَ كأنّه قمرٌ يدورُ بكوكبٍ في مجلسٍ

ويتغزل الشاعر المعتمد بن عبّاد بجاريته وداد, فيقول[26]:

قمرٌ غاب عن جفونك مرآ هُ وسكناهُ في سوادِ فؤادِكْ

فالحبيبة قمر غابت عن مرأى عيني الشاعر إلاّ أنّ سكناها في فؤاده.

ويرسم الشّاعر ابن خفاجة صورة جمالية رائعة للحبيب, فيقرن بين ضياء الهلال, وضياء القمر من خلال نقابه[27]:

وبدا هلالٌ في نِقابكَ طالعٌ ولربَّما انْحدَر النّقابُ فَأقْمَرا

فكأنَّ النقاب هو الذي يخفي ضياء الحبيب, فوجه الحبيب هلالٌ مضيءٌ بدا من تحت نقابه, ولكن إذا انحدر ذلك النقاب فإنَّ ذلك الهلال يصبحُ قمراً منيراً.

وأمّا الشّاعر ابن الزقاق البلنسي, فيرى في أحبته أقماراً مضيئة, تشرق على جبلِ إضم, والحلي التي تضعها في أعناقها تنازع الشهب في ضيائها ولمعانها[28]:

أستودع الله أقماراً على إضمٍ تُنازع الحلي في لبَّاتها الشُّهبُ

---

[24] ديوان ابن زيدون ورسائله، ص169.

[25] محمد بن عمار الأندلسي, دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بنني عبّاد في إشبيلية, ص 297.

[26] ديوان المعتمد بن عباد، ص10.

[27] ديوان ابن خفاجة، ص 300.

[28] ديوان ابن الزقاق الأندلسي، ص88.

ويتغزل الشاعر ابن خاتمة الأنصاري بالحبيبِ, وقد شبَّهه بأنّه قمر الظُّلمات, فهو يهواهُ, ومغربهُ في قلب الشاعر[29]:

ما أحلاك يا قمر الأحْلاك

كم أهواكَ وفي الحشا مثواكَ ولا تدري

الحُسْنُ يحارُ في خدّك

و يرى الشاعر لسان الدين بن الخطيب في حبيبه قمراً حجازياً, فيناديه:

يا أيُّها القمرُ الحجازيُّ الذي تَجْلَى بغُرَّتِهِ الدياجي السُّودُ

فالحبيب قمرٌ طالعٌ من أرض الحجاز, يضيء قلب الشاعر هدىً وحباً وجمالاً, وتتكشف بغرته البيضاء الليالي الدّاجية, ويدخل السَّعد والنور إلى فؤاد الشّاعر.

و ينظر أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي إلى محبوبه, فيراهُ قمراً مضيئاً لعينيه, مطلعه من عينيه وغروبه في فؤاده, يقول[30]:

قمرٌ لاحَ لعيني نورهُ وبقلبي غابَ لمَّا غربَا

وفي موضع آخر يقابل بين جمال حبيبه وبياضه, فهو يهدي قلبه إليه إذا ضلَّ, ويرى في شعره ليلاً بهيماً, فتكتمل صورة الجمال, حيث يقول[31]:

قمرٌ تجلّى في دجنّةِ شَعرِهِ فأَبَان ما بين الضلالةِ والهدى

فجمال بياض المحبوب عند الشاعر عبد الكريم القيسي الأندلسي, جعله يقابل بينه وبين الغزال, فالمحبوب غزال غرير أبيض, إذا ما رأته العين حسبته قمراً على غصن, فيقول[32]:

ظبيٌ غريرٌ إذا الألحاظُ تَرمُقهُ تخالُهُ قمراً يبدو على غُصنِ

لقد بدا الحبيب عند الشعراء الأندلسيين قمراً متلألئاً مضيئاً, وهذا يدلُّ على حبّهم لرؤية الحبيب على درجة عالية من الإضاءة والسطوع.

---

[29] ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي ، ص 145.

[30] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي ، ص 28.

[31] المصدر السابق، ص 64.

[32] ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، ص 86.

3- الهلال:

الهلال بدء ظهور القمر في طفولته, وفيه من معاني البراءة والجمال والطفولة ما يبعثُ في النّفس الإثارة, لذلك أخذ شعراء الأندلس هذه الصّفة, وأصبحوا يذكرونها في أشعارهم, فتارة يعبّرون عن الهلال بضياء وجه المحبوب عندما يطلُّ, فأصبح الحبيبُ هلالاً لما فيه من تماثل الشكل في الضياء والإشراق, وربّما كان التغزل بالمرأة على أنّها هلال يشير إلى صغر سنّها وإشراق جمالها, لأنّ الهلال أحد المراحل التي يمر بها القمر قبل أن يصبح بدراً مكتملاً في الإضاءة والسطوع .

يقول ابن عبد ربه في الحبيب[33]:

يا هلالاً قد تجلّى في ثيابٍ من حريرِ

وأميراً بهواهُ قاهراً كلَّ أميرِ

ما لخدّيكَ استعارا حُمرةَ الوردِ النضيرِ؟

فالمحبوب هلالٌ مضيء, وقد أشرق في ثيابٍ من حرير, فهو أمير في الهوى, ويغلبُ كُلَّ أمير, وخداه استعارا حمرة الورد النّضر.

وعكس ابن شهيد التشبيه, فجعل وجه الحبيب أصلاً, وقد حكاه الهلال, تمثّلاً به لوضاءته وجماله, وأمَّا الثّغر فقد حكى الدُّرُ عند ابتسامته, مؤكداً تقابل الصورتين وتناقضهما, حيث يقول[34]:

فَأبصرتُ وجهاً حكاهُ الهِلالُ وثغراً حكى الدُّرَ لمّا ابتسَمْ

واستغنى ابن زيدون عن تشبيه الحبيبة بالهلال, فجعلها هي الهلال, وقد جعله هلالاً معنوياً تراهُ النّفوسُ لا العيون, وقد حوى الضدين, لذلك فإنَّ المحب قاسٍ, بينما أعطافه تلين وتنثني, وهي صورة تأخذ بمجامع القلوب, وتأسر النفس لجمالها[35]:

يا هلالاً تَتَراءا هـ نفوسٌ لا عيونُ

عجباً للقلبِ يقسو مِنْكَ والعِطفُ يلينُ

---

[33] ديوان ابن عبد ربه، ص 185.

[34] ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص 153.

[35] ديوان ابن زيدون ورسائله، ص177.

وأمّا المعتمد بن عبّاد فقد جعل المحبوب هلالاً, وإذا بدا فإنه يمحو ظلمة الضّيق التي تسيطر على الشاعر, فيقول[36]:

يا هلالاً إذا بدا لي تجلَّتْ عن فؤادي دُجنةُ الكَرِباتِ

لقد جعل ابن خفاجة في تشبيه الحبيب تورية لطيفة, حيث أعطاهُ معنىً دينياً معيّناً, فالشاعر في صوم عن النوم للقاء الأحبة وأصحاب الجمال, ولا يفطر إلا بمشاهدة هلال وجه الحبيب, فيقول[37]:

وَطَرَفاً قَريحاً صَامَ عَنِ الكرى ولا فِطْرَ إلا أن تلوحَ هلالا

ولم يكتف ابن الزقاق البلنسي بوصف الحبيبة بالهلال, بل أضاف إليها لطافةً معنويّة, فجعل الشُّهبُ حلياً لها, فاختلط الأمر على النّاظرين, فهل هم يرون أرضاً أم سماء, وعندما غازلها احمرَّ وجهها, واكتسى حمرة الشفق, فكانت صورتها بمنتهى الجمال[38]:

تبدو هلالاً ويبدو حليُّها شُهُباً فما نفرّقُ بين الأرضِ والأفقِ

غازلتها والدُّجى الغربيبُ قد خُلِعت منه على وجنتيها حُلّةُ الشَّفَقِ

واقترب الرصافي البلنسي من ابن الزقاق البلنسي مستخدماً تشبيهاً آخر, فجعل من الحبيبة هلالاً, بل هي غزالة, والظباء الصغار حولها هم درارٍ لبياضها الناصع:

وأنتِ هلالٌ بل أقولُ غزالةٌ وحوْلَكِ سِربٌ لا أقولُ دَراري

يستخدم الشاعر هنا أسلوباً بديعياً لطيفاً في التعبير عن جمال المحبوب, فهو هلالٌ يطلع على قلب الشاعر رقّةً وجمالاً, بل إنه غزالٌ ذو نفورٍ وابتعاد لكثرة دلاله, وهو محاطٌ بسربِ غزلانٍ في غاية الفتنة والجمال والروعة, ولن يقول أنهم نجومٌ درّيّة, فالحبيبة عينُ الدراري السّاطعة في السماء جسناً وبهاء, فاستخدم الشاعر أسلوب النفي المثبت, تلبيساً على القارئ.

ويرى الشّاعر ابن خاتمة الأنصاري في محبوبه هلالاً, أشرق في قلبه[39]:

يا هلالاً لقلبي أشرَقا هل سبيلٌ إلى لقياكا

---

[36] ديوان المعتمد بن عباد ، ص 40

[37] ديوان ابن خفاجة ، ص 124.

[38] ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص 212.

[39] ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، ص 165.

فالحبيب هلال قد علا في أفق الحُسن والجمال, ولذلك يتساءل الشاعر: هل بعد علوّك من سبيل في اللقاء؟.

وأمّا لسان الدين بن الخطيب فقد اكتفى بتصوير جمال محبوبه, فهو هلال, وقضيب بان, وظبي, وقد جمع اللطائف الثلاث معاً, فيقول[40]:

يا هلالاً يا قضيباً يا رشا إن تبدى إن تَثَنَّى أو مشى

وأعطى ابن فركون محبوبه تأصيلاً في الجمال, فهو هلالٌ بن هلال, وعلى الرغم من لطافته يفتكُ بأسد الغاب, فيقول[41]:

يا هلالَ الجمالِ يا ابنَ هلالٍ يا هلالاً يُزْرِي بأسْدِ الغابِ

وأمّا الشّاعر أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي, فقد جمع النقيضين في حسن المحبوبة, فهي هلالٌ, ورمز إلى اللطف والجمال وهذا الهلال بدا في شكل ضيغم, رمز القوة والهيبة[42]:

فلم يرَ ذَو عينٍ من قبلِ شكلها هلالاً يريكَ الظبي في شكل ضيغمِ

ويتغزّل الشاعر أبو بكر ابن حبيش بمحبوبته, فهي هلالة مضيئة, بات الهلال لتاجها حسوداً, وغارت الكواكبُ من حُليّها[43]:

هِلاليَّةٌ باتَ الهِلالُ لتاجها حسُوداً وغارتْ من حُلاها الكواكبُ

من خلال ما تقدّم نرى أنّ شعراء الأندلس هاموا ببياض المحبوبة, فشبهوها بالهلال, وبدؤوا يتفردون بهذه الصورة الهلاليّة لإظهار شدّة بياضها, وكلٌّ منهم يستفيد ممن تقدّمهُ, محاولاً الزيادة والتفنن في مثل هذه التشابيه.

4- الكواكب:

الكوكب عند أهل اللغة هو النّجم الذي يضيء، ويظهر نوره في السماء[44], وقد

---

[40] ديوان لسان الدين الخطيب السلماني ، 2/ 739.

[41] ديوان ابن فركون، ص 263.

[42] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي، ص 175.

[43] مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1406هـ، 1986م، ص 102.

[44] لسان العرب، ابن منظور، مادة ن ج م.

تناول شعراء الأندلس هذه المفردة, وسكبوها على المحبوب ذكراً أو أنثى, من أجل أن يُظهروا وضاءة المحبوب وحسنه وإشراقه في سموات قلوبهم، وآفاق أفئدتهم, وما ذلك إلا ليفصحوا عن طبيعة هذا الجمال, وتشبيهه بما هو سامٍ جمالاً ورفعةً.

فالحكم الغزال شغف بحسناء مجوسية مشرقة متلألئة, وكأنَّ كواكب يشرق من أزرارها[45]:

إني تعلّقتُ مجوسيّةً تأبى لشَمسِ الحُسْنِ أن تَغْرُبا

أقصى بلادِ الله في حيث لا يُلفي إليهِ ذاهبٌ مُذْهَبا

يا تُؤْدُ يا رُودَ الشّبابِ التي تُطلِعُ من أزرارها الكَواكبا

ونظر ابن الدّراج القسطلي إلى كواكب السّماء الطالعة، فعزَّ عليه أن تطلع هذه الكواكب, بينما كوكب فؤاده غائبٌ عنه, فتذكَّره, فهاجت عواطفه, فقال[46]:

ويوحشني مِلْءُ السَّماءِ كواكِباً إلى كوكبٍ في مَغربِ البَيْنِ واحِدِ

وحاول ابن زيدون أن يقرن بين وضاءة محبوبته, وبين سناها ورفعة مجدها, ولذلك تزهو بها القصور رفعةً وحُسناً وتفاخر الأفلاك بها جميعاً، فيقول[47]:

يا كوكباً بَارى سَناهُ سَنَاءهُ تُزهى القصورُ بهِ على الأفلاكِ

وقد عبَّر بعض الشعراء عن حبيبته، فشبّهها بكوكب الحسن, إمعاناً بوصف جمالها ولطف تصويرها, ومن هؤلاء الشعراء المعتمد بن عبّاد, الذي رأى أنَّ جمال جاريته وحسنها يزري على حسن الشهب, لذا يحاول استعطافها واسترضاءها, كي لا تتمادى في تعذيبه, ما دام مسكنها في فؤاده, فيقول[48]:

يا كوكبَ الحُسْنِ الذي أَزرَى بزُهر الشُّهُبِ

مسكَنكِ القلبُ فلا ترضي له بالوصَبِ

---

[45] ديوان يحيى بن حكم الغزال، جمعه وحققه وشرحه د. محمد رضوان الدّاية, دار الفكر المعاصر، بيروت, لبنان, دار الفكر دمشق سورية, 1412هـ 1992م ، ص 21.

[46] ديوان ابن دراج القسطلي ، ص 344.

[47] ديوان ابن زيدون ورسائله، ص 124.

[48] ديوان المعتمد بن عباد ، ص 3.

وحاول بعض الشعراء أن يعتمد على التجسيم الفني في عملية التصوير والوصف، فإذا نظر ابن سهل إلى محبوبه أثارته وضاءة ابتسامته ، وبياض أسنانه, فيراه كوكباً دريّاً يضيء في أعماق نفسه, كما يضيء الكوكبُ في السماء فيقول[49]:

دُرٌّ ثناياه وألفاظهُ فلَقَّبوهُ الكوكبَ الدُّرّي

وقد حاول لسان الدين بن الخطيب أن يثير كوامن الحب في نفسه, مصوراً حبيبه بما هو نادرٌ حقاً, فقد تلبَّسهُ الهمّ بينما حبيبه كوكب سعدٍ لكلّ قلبٍ سليم, فيقول[50]:

يأبى من صِرتُ مِنْ حُبّه وَهوَ هَاءٌ وميمْ

أنا من حُبّهِ, كشطرِ اسمهِ وهوَ باقٍ سَليمْ

كوكبٌ يستمدُ من وجههِ كُلَّ قلبٍ سَليمْ

وقد نظر بعض الشعراء إلى النّساء جميعهنَّ نظرةً واحدة معجبين بحسنهنَّ, فبدون وجوهاً بيضاء مضيئة كأنها صباح يسفر عن ضيائه إذا ما بدون من وراء حجاب, فيقول لسان الدين بن الخطيب[51]:

وسَفَرْنَ عَنْ مِثلِ الصَّباحِ السَّافرِ كَوَاكِبَ الظُّلماءِ لُحْنَ لنَاظِرِ

وقد نوّعَ ابن فركون في صورته, فجعل محبوبه ظبياً يؤنسُ القلب, وقد تيَّمهُ حباً وجمالاً ودلالاً, فإذا رام وصاله صَعُبَ عليه ذلك الوصال, فغدا كأنَّه الكوكب علوَّاً ومنعةً[52]:

وبي ظبيُ إنْسٍ تَيَّمَ القَلبَ لَوْعَةً إذا رُمتَهُ يحكي الكواكبَ منعة

ويرَى الشاعر أحمد بن القاسم الخلوف الأندلسي, في وجنة الحبيب كوكباً نيّراً، وأمّا العشاق فقد جعلوها فيما بينهم كوكب المشتري السّاطع النّير[53]:

في أفق وجنتيه المنيرة كوكبٌ نادى بها العشاقُ يا للمشتري

---

[49] ديوان ابن سهل ، ص 150

[50] ديوان لسان الدين الخطيب السلماني، 2/ 796.

[51] المصدر السابق ، ص 584.

[52] ديوان ابن فركون ، ص 249.

[53] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي، ص 79.

وقد أعطى أبو عبد الله بن عياض المحبوب صفة الكوكب, لأنّه قادرٌ على اختراق الظلمة والفؤاد معاً بأنواره السَّنيَّة المضيئة[54]:

يا كوكباً هتكَ الدُّجنَّةَ والحَشا بمحاسِنِ الوَجناتِ والأحداقِ

فهذا الحبيب هتك ظلمة الهمِ التي تخيّم على الفؤاد, بما يمتلك من محاسن الخدود والألفاظ.

ومن خلال ذلك يتبيّن أنَّ الشعراء الأندلسيين قد اتفقوا جميعاً على تصوير الحبيب بالكوكب وضاءة وحسناً ومنعةً وسمواً, وقد تفنَّنوا بإسباغ هذه الصّفات على المحبوب وفق أساليبهم الفنّية, ورؤاهم الشعرية.

5- النّور:

تجسد المفردة اللونية النور أسطع إشراقات اللون الأبيض وإضاءاته, فالمرأة نور, إنها تتمتع بصفات تفوق طبيعة البشر, فالنور أعلى درجات اللون الأبيض, مما يدل على ولع الأندلسيين الحسيّ والنفسيّ في الوضوح والإضاءة, فتصبح المرأة عندهم رمزاً للحياة, وحالاً يحقق الشاعر وجوده من خلاله, فتغدو كأنّها كتلة ضوئية تشعُّ نوراً وإشراقاً, تنعكس في خلجات الشاعر إلى حياة سرور, فاللون الأبيض هو مجموع كل الألوان الأساسيّة, فذكر الشعراء الأندلسيون مفرداته كي يشيروا إلى كليّة الصّفات الحسنى التي يرونها في الحبيبة, وربّما خرج هذا اللون عن طبيعته ليعطي مدلولات جمالية معينة.

فالشاعر ابن عبد ربه يهتدي بنور وجه المحبوب إذا أظلمت الدنيا في وجهه, وإذا فقد سراجه فهو سراجه الذي يهتدي به, وهذه ليست مبالغة بلاغية, وإنما لإظهار لواعج الشّاعر تجاه الحبيب الجميل, فيقول[55]:

أنتَ نوري في ظلام الدُّجى وسراجي عند فقدِ السِّراج

ويغدو المحبوب بنور وجهه سبباً لجنون ألباب المحبِّين, ويندهشون من هذا الجمال, فيقول[56]:

فَرَيْنَ أديمَ الليلِ عنْ نورِ أوجهٍ تُجَنُّ بها الألبابُ أيَّ جنونِ

---

[54] زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي ، أعدّه وعلق عليه عبدالقادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ص 138.

[55] ديوان ابن عبد ربه ، ص 35.

[56] المصدر السابق ، ص 164.

ويلتبس النور بالنار في ضياء وجه الحبيب عندما يظهر في الليل, فالذي يطلب القِرى يظنها ناراً تدعوه إلى المضارب لتجود له بالطعام المعنوي, والذي يطلب الأنس والجوار يعرف النّور فيستطيب الإقامة ويظفر بالأنس, يقول ابن درَّاج القسطلي[57]:

أنُورِكِ أمْ أوْقدتِ بالليلِ نارَكِ لباغِ قراكِ أو لباغِ جوارِكِ؟

أمّا الشّاعر ابن حمديس, فتستولي عليه الحيرة, عندما يرى نور وجه المحبوب, وذلك لإشراقه ، وقد أضاف صفة أخرى تُظهرُ النّفس السكرى من طيب العطر , وتضوّعه من أردان الحبيب[58]:

والعينُ حَيرى من تألقِ نُورهِ والنّفسُ سَكرى من تضوّعِ طيبهِ

و بَعُدَ ابن حمديس أكثر في تشبيه حبيبته بالنور , ففي موضع آخر يشببها بالغزالة, وهذه تسمية تراثية تاريخيّة للشمس, ولذلك سكب نور الشمس على وجه الحبيبة في الشطر الأوّل, أمّا الشطر الثاني فجعل طيبها من دم الغزالة لأنهم سيقولون: إنّ المسكَ من دم الغزال[59]:

قُلْ لِمَنْ ضاهت الغزالة نوراً وهي من طيبها غزالةُ مِسْكِ

غير أنَّ الحكيم يجعل الشّمس والبدر يستمليان نورهما من نور وجه المحبوب, وهو إفراط معنوي بالتشبيه, وفي ذلك يقول[60]:

البدرُ من شمسِ الضّحى نورُهُ والشمسُ من نورِكِ تستملي

ويرى ابن الحداد الأندلسي في الحبيبة نويرة, أنها ملأت النّواظر ضياءً ونوراً, والنفس مرحاً والقلوب سعادة, وبنورها تلألأت سماؤه, وأفعمت تربته بالأريج والعنبر[61]:

يا زائراً مَلأَ النَّواظرَ نُوراً والنَّفسَ لَهْواً والضُّلوعَ سُروراً

فيك اكتسى جَوّي سَنا وتلألؤاً وارتدَ تُرْبي عَنْبراً وَعَبيرَا

---

[57] ديوان ابن دراج القسطلي، ص 84.

[58] ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له د. إحسان عباس، دار صادر ، بيروت 1379هـ، 1960م ، ص 10.

[59] المصدر السابق، ص 344.

[60] ديوان الحكيم، ص 125.

[61] ديوان ابن الحداد الأندلسي ، جمعه وحققه وشرحه وقدم له د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص 219.

ويجعل ابن الزقاق البلنسي اقتباسه النّور من وجه حبيبته التي ارتحلت, وهي محفوفة بنساء جميلات مثل الكواكب المضيئة, فيقول[62]:

قفا نقتبس من نورِ تلك الركائبِ فما ظعنتْ إلا بزُهرِ الكواكبِ

أمّا ابن فركون فقد جعل شدَّة نور مرأى الحبيبة ضياء بدر, وأمّا قوامها فإنّه يخجل الغصن ميساً واهتزازاً ، فأبدع في جمعه هذه الصفات, إذ يقول[63]:

بِنَيّرِ مَرْآهَا وحُسْنِ قَوامِهَا إذا ما تبدَّت تُخْجِلُ البَدْرَ والغُصْنا

واستغنى عبد الكريم القيسي بوجه المحبوب عن المصباح, كي يضيء ليلته المظلمة, فيقول[64]:

وقد غَنينا عن المصباح لَيْلَتنا بنورِ وَجْهٍ من المحبوبِ مُتَّضِحِ

ومن المفردات التي وظِّفت في اللون الأبيض, والتي توحي بالضياء والإشراق والنور أيضاً المفردة اللونية "السَّنى".

6- السَّنى:

ميّز اللغويون بين السنا (باللّينة الممدودة), وبين السّنى **(باللّينة المقصورة)** لأنّ الأولى بمعنى المجد والشرف والثانية بمعنى ضوء النار والبرق[65].

فالرمادي يغضُّ طرفه إجلالاً لهيبة المحبوب, لأن التماع سناه يجعل عينه لا تطيق النظر إلى السّنى الساطع, فتذري الدموع لعدم قدرتها على ذاك النظر فيقول[66]:

وإني لأُغضي الطرف عنكَ جلالةً وخوفاً على خدّيكَ من لحظاتي

ولو أنني أهملتُ عيني بأن تَرى سناكِ لحالتِ دونَها عبراتي

وقد لجأ ابن شهيد إلى الاستفهام, ليميط حجاب الحيرة عن نفسه, عندما رأى إشراقاً, فلم يتحققهُ هل هو الصباح أم البرق أم وجه المحبوب الذي أشعل تلك المشاعل جميعها, فيقول[67]:

---

[62] ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص 73.

[63] ديوان ابن فركون، ص 126.

[64] ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، ص 161.

[65] لسان العرب، مادة س ن ا.

[66] شعر الرمادي ، يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري ، جمعه وقدم له ماهر زهير جرار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص 56.

أصُبيحٌ شيمَ أمْ بَرْقٌ بَدا أمْ سَنا المحبوبِ أورى أزْنُدا

وأمّا إشراق سنى وجنتي المحبوب عند ابن زيدون, فإنّه يجعل دجى الليلة يمضي إلى غير رجعة عند ظهور المحبوب, وكأنَّ ذلك السنى هو ضياء الفجر وانبثاق الصباح, فيقول[68]:

يا لها ليلةً تَجلّى دُجاها من سَنا وجنتيهِ عَن ضوءِ فجرٍ

ويقبّل الشاعر ابن الزقاق البلنسي خدّي المحبوب المحمرين المضيئين، فيتغزل[69]:

ولثمتُ من خدّي أغرَ مهفهفٍ شفقين حُفَّ سَناهما بصباحِ

وَسُدْتُهُ عُضُدي فظلْتُ كأنما أطْلعتُ في عضدي سَنا الإصباح

يخبر الشاعر عن جمال المحبوب وحُسن وجهه, فعندما لثم خدّيه, وهو أغرُّ الوجه, مهفهفُ الأعطاف, فكأنَّما لثمَ شفقين في إشارة منه إلى وجنتيه اللتين يعروهما الخجل, ويكسوهما الحياء, وهذان الشفقان قد حُفّا بوجه مضيء كأنّه الفجر, وعندما وسَد رأس الحبيب على ذراعهِ في لحظة عناقٍ وهيامٍ فكأنّما أصبح ذراعه مشرق الإصباح العشقي الجميل.

وأمَّا ابن خاتمة الأنصاري فلم يستطع التماسك أمام سنى حسن المحبوب, فأصبح سيباً له, أسيراً لحسنه, فيقول[70]:

سَبَى سَنا حُسنكُمْ فؤادي مالي وما للجمالِ, مَالي؟!

وهو في موضع آخر لم يقصر وصف سنى المحبوب على سبيه, بل جعل هذا السّنى يختزن ما وارت به الحجب ويظهره, فإذا ما لمحه انكشف له كل محجوب ، وربما يقترب هذا المعنى من معاني المتصوفة, فيقول[71]:

سِرٌّ من الحُسنِ لو يُجلى سناهُ على أعمى لأبصرَ ما قد وارتِ الحُجُبُ

وتتلامح الألوان من ميسم المحبوب في نظر عبد الكريم القيسي, كأنه فيه قوس قزح, بجمالية ألوانه وانسجامها, ولذلك يقول[72]:

---

[67] ديوان ابن الشهيد الأندلسي، ص 102.

[68] ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 231.

[69] ديوان ابن الزقاق البلنسي ، ص 126.

[70] ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي، ص 107

[71] المصدر السابق ، ص 28.

نَلهو بكلّ كحيلِ الطَّرفِ ذي غنجٍ ما زالَ مَبْسَمَهُ يبدو سَنا قُزَحِ

ولولا توهج البدر من خدّي المحبوب لما كلف به الشاعر أحمد بن القاسم الخلوف الأندلسي, على الرغم من أنه يعشق نور البدر, فيقول[73]:

وأعشقُ البدرَ لا أني كلفتُ به لكنه من سَنا خديه يلتهبُ

وخاطب الشاعر الهلال, ليراعي سنى المحبوب, كي يجده نوراً منيراً في السماء،وهذه من المبالغات اللطيفة, يقول[74]:

ويا هلال الدجى راعي سناهُ تجدهُ بدراً منيراً به قد عزّت الرتبُ

لقد تنوعت نظرة الشّعراء إلى السَّنى, فتعددت معانيهم عند تناوله.

7- الصباح:

للصباح في الشعر الأندلسي معانٍ ودلالات خاصة من دون غيره, وفيها يتحول الإحساس بضيائه أو بقصره أو طوله إلى معطيات متنوّعة, تفرض هذا الشّكل من أشكال الشعور الإنساني, الذي يؤدي بدوره إلى إبداع علاقة خلاّقة تبوح بغرض الشّاعر وما يبغيه، لذلك كان الشاعر الأندلسي من خلال هذه المفردة اللونية يحاول "**إيجاد الثوب الملائم للفكرة أو الانفعال**"[75]،ولاسيما إذا كانت كل حال وجدانية يمر بها الشاعر, قد تتفق أو لا تتفق مع ما هو شائع في الواقع, لذلك فإنَّ "**رسم أية صورة إنما هو ترجمة الموضوع إلى صفات حسّية, ليست لها وظيفة المحاكاة, غير أنّها تثير في المشاهد إحساساً مماثلاً لا صورة مماثلة, وكلّما دقت الانفعالات, وأرهفت, أصبح من العسير ربطها بالعمليات الحسّية التي تصاحبها، وأصبح تمثّل تلك الانفعالات من وظيفة الخيال**"[76]. لذلك فإنَّ الإدراكات الحسية لا تبقى في الذّهن كما هي، والشاعر نراهُ يعبثُ بالألوان كما تشاء نفسه, فيلوّنها بألوان غير ألوانها انطلاقاً من الرؤية النفسية للإدراكات الحسية.

---

[72] ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، ص 161.

[73] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي، ص 27.

[74] المصدر السابق، ص 27.

[75] أسرار الفن التشكيلي، محمود البسيوني، عالم الكتب ، القاهرة, 1980، ص 68.

[76] الفن والجمال، ص44.

لقد تعددت دلالات الصباح في سياق غزّل الشعراء بالحبيب, فالحبيب صباح مشرق مضيء, فمن أهم دلالات هذه المفردة اللّونية جاءت في سياق الغزل.

إنَّ تغزّل الشاعر بالحبيب ووصفه بأنّه صباح مشرق , فيه بوحٌ عن أنّ هذا الإشراق والضياء فيهما حياة, وفيهما حاجة نفسيّة إلى الحبيب المشرق المضيء في دواخل الشاعر, وكلّ هذا ينتهي في نهاية المطاف إلى الدلالة الإيجابية للصباح, من أنّه **لون الفرح والسّعادة**[77], فألوان الصباح "**تكون أكثر برودة وإشراقاً**"[78], وكأنَّ ضوء الصباح "**يؤدي دوراً كبيراً في إظهار الشكل**"[79].

إذا أراد الشاعر الرمادي إشراقاً وضياءً كان الحبيب صباحه, وإن أراد ليلاً حالكاً نام في شعره ذي السواد الشديد[80]:

فإن أبْغِ صُبحاً كان خدُّك مُصبِحي وإن أبغِ ليلاً بتُّ في شعرِكَ الوَحْف

واستولت الحيرة على ابن درّاج القسطلي في ضياء محبوبته, فيقول[81]:

وَطُرّةُ صُبْحٍ أم جبينُكَ سافراً أعَرْتِ الصْباح نورهُ أم أعارِكِ

لقد اعتمد الشاعر في هذا البيت على التدبيج الخفيّ, عندما استمدّ صباحهُ من خدّ المحبوبة, واحمرار الصباح وتورّده يشبهُ احمرار خدّ المحبوبة, لذلك يطلع منه.

وأراد ابن شهيد الأندلسي أن يظهر صورة متناقضة ليكسو الحبيبة جمالاً وروعة, فجعل الوجه صباحاً, وقد عمّمهُ ليلٌ أسود, فظهر عنصر الجمال بذلك, حيث يقول[82]:

رَشَا بَلْ غادةٌ مَمكورةٌ عُمِّمت صُبحاً بليلٍ أسْودَا

ويجعل ابن الزقاق البلنسي محيّا الحبيبة مشرق الصبح وانبعاثه, فلا يوجد صباح لولا ذاك المحيّا, ولا ليل يدجو إلا من فوق تلك الذّوائبِ[83]:

---

[77] معجم مصطلحات الألوان ورموزها، جان صدقه ، دار أديفا للنشر ، ص 43.

[78] اللون علماً وعملاً، محي الدين طالو, دار النشر دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق, 1995، ص 28.

[79] المرجع السابق ، ص 47.

[80] شعر الرمادي، ص89.

[81] ديوان ابن دّراج القسطلي، ص 84.

[82] ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص 104.

[83] ديوان ابن الزقاق البلنسي، ص 96.

فلا صُبحَ إلا من محيّا خريدة ولا ليلَ إلا فوقَ صُبحِ ذوائبُ

فحريٌّ بالحبيبة أن تكون صبحاً مشرقاً لشاعر يشقُّ ظلمة أعين الرقباء, كي تحقِقَ وعداً غراميّاً لطيفاً[84]:

سَرتْ إذْ نامت الرُّقباءُ نحوي ومسكُ الليلِ تُهديه الرياحُ

وقد غنَّى الحليُّ على طلاها بوسواسٍ فجاوبَهُ الوشَاحُ

تحاذرُ من عمودِ الصبحِ نوراً مخافةَ أن يَلُمَّ بنا افْتِضَاحُ

فلم أرَ قبلها والليلُ داجٍ صباحاً بات يَذْعرُهُ صباحُ

وشارك ابن فركون ابن الزقاق البلنسي في هذه الصفة للمحبوبة، وأنّ الصباح يتجلّى من نور وجهها, فيقول[85]:

وإن أطلَعَتْ وَجْهها مُشرقاً طُلوعَ الصباحِ من المشْرِقينِ

نعمتُ بِها تَحْتَ خَفقِ الظّلالِ نعيمَ المُهَنّأ بالجنتينِ

وأمّا الشاعر أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي, فجعل الصباح جزءاً من الوجه, وهو الجبين الذي يشعّ بنوره ليظهر كالصّباح المنوّر"[86]:

وجلا جبيناً كالصّباح منوّراً فأراك ثغراً كالأقاح منضّدا

وهكذا كان للصباح بدلالته صفات جمالية أضفت لطافة جمالية حسيّة معنوية على الحبيب في نظر الشاعر الأندلسي.

---

[84] المصدر السّابق، ص 130.

[85] ديوان ابن فركون، ص 256.

[86] ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي، ص 64.

خاتمة البحث ونتائجه:

يمكن أن ندوّن أهم النتائج التي توصّلنا إليها بعد جولتنا في هذا البحث:

1- أثبت البحث أنَّ اللون جزء من المشاعر الحسية التي كانت تزدحم في صدور الشعراء الأندلسيين.

2- سعى البحث إلى معرفة الدلالات اللونية للمفردات اللونية غير المباشرة للون الأبيض، لأنَّها تدل على حال شعورية معينة، وتأخذ دلالة اللون نفسه، وقد كان هذا من قبيل التوسع المعرفي في عدم التقييد بحقيقة اللون، والوقوف عند معاني الدلالات الأخرى للمفردات اللونية غير المباشرة للون الأبيض في الشعر الغزلي الأندلسي، وربطها بالموقف الشعوري عند الشاعر الأندلسي.

3- كانت الدلالات غير المباشرة للون الأبيض في الشعر الغزلي الأندلسي استجابة طبيعية للمشاعر التي كانت تزدحم في مكنون الشاعر، فكان تعبيره عنها جزءاً من الرسم بالكلمات.

4- الشعر مرآة الحياة، ويعكس الواقع الحياتي بأبعاده المختلفة، وتنوع اللون في الشعر الأندلسي يعطي صورة عن التأنق الذوقي الذي كان يشيع في حياة الشاعر الأندلسي، فجاءت هذه الدلالة غير المباشرة للون الأبيض، معبِّرةً عن الذائقة الجمالية التي كانت سائدة في الأندلس.

5- أثبت البحث أنَّ دلالة اللون الأبيض غير المباشرة في الشعر الغزلي الأندلسي قوةً إيجابية توجه مشاعر الشاعر إلى تجسيدها في قصائده من أجل أن يعطي دلالة لونية مطابقة للشيء فيهيّئ المتلقي إلى تمثل هذا المعنى.

6- أثبت البحث أنَّ دلالة اللون الأبيض الجمالية غير المباشرة في الشعر الغزلي الأندلسي ترتبط بعلاقة جدلية المظاهر الطبيعية كالقمر والكواكب و النجوم، وتعكس صفاتها في الشعر.

المصادر والمراجع

ـ أسرار الفن التشكيلي ، محمود البيبوني، عالم الكتب ، القاهرة ،1980م.

ـ الجمال والجلال ، فؤاد مرعي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، بيروت ،1991م.

ـ ديوان أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي، السليمية ، بيروت، 1873م.

ـ ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه وشرحه وقدم له د.يوسف علي طويل, دار الكتب العلمية ، بيروت, لبنان.

ـ ديوان الحكيم, أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي, دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

ـ ديوان ابن حمديس صححه وقدم له د. إحسان عباس, دار صادر، بيروت, 1379هـ, 1960م.

ـ ديوان ابن خاتمة الأنصاري، حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية، منشورات دار الحكمة، 1399هـ، 1978م.

ـ ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. سيد غازي، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ط2، 1979م.

ـ ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وعلق عليه محمود علي مكي , المكتب الإسلامي , ط2.

ـ ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج, دار الكتب العلمية، بيروت, لبنان, 1415هـ, 1995م.

ـ ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدم له د. إحسان عباس, دار الشروق ، بيروت, القاهرة, ط2, 1403هـ, 1983م.

ـ ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1409هـ، 1989م.

ـ ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر.

ـ ديوان ابن سهل ، قدم له د. إحسان عباس, دار صادر ، بيروت, 1400هـ, 1980.

ـ ديوان ابن شرف القيرواني، تحقيق د. حسن ذكرى حسن, نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه وقدمه د. يعقوب زكي, دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة, 1969م.

ـ ديوان ابن عبد ربه، حققه وشرحه محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة.

ـ ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق د. جمعة شيخة، د. محمد الهادي الطرابلسي، مؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة ، قرطاج، 1988م.

ـ ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد ابن شريفة, مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية وسلسلة التراث.

ـ ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، صنعه وحققه وقدّم له د. محمد مفتاح, دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، 1409هـ، 1989م.

ـ ديوان المعتمد بن عباد، جمعه وحققه د. حامد عبد المجيد, د. أحمد أحمد بدوي, راجعه د. طه حسين, دار الكتب المصرية ، القاهرة, ط:2, 1997م.

ـ ديوان يحيى بن حكم الغزال، جمعه وحققه وشرحه د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، لبنان، دار الفكر ، دمشق، سورية، 1413هـ، 1993م.

ـ شعر الرمادي، يوسف بن هارون، شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري: جمعه وقدم له ماهر زهير جرار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ الفن والجمال، علي شلق, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, 1982م.

ـ محمد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تأريخية لألمع شخصية سياسية في تأريخ دولة بني عباد في إشبيلية، تأليف د. صلاح خالص, مطبعة الهدى, بغداد.

ـ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ،1986م.

المعاجم

ـ لسان العرب: ابن منظور, طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها أمين عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، لبنان، 1416هـ، 1995م.

ـ معجم مصطلحات الألوان ورموزها، جان صدقه, دار أديفا للنشر.